

الجماعات الإسلامية بالمغرب

الحسن بن علي الكتاني

١- مقدمة:

يمكن تقسيم الجماعات الإسلامية بالمغرب الى قسمين كبيرين، يتفرّع باقي الأقسام عنهما، وهذا التقسيم فيه نوع من التسامح، لأنه لا ينضبط تمام الانضباط، لكنه يسهّل فهم الواقع واستيعابه. وهذان القسمان هما: السلفي والاخواني. وهناك تياران صغيران آخران لا يمكن أن نحسبهما على أي من التيارين السابقين، وهما: جماعة التفكير والهجرة من جهة، وجماعة الدعوة والتبليغ.

٢- جذور التيار السلفي:

أما التيار السلفي فهو تيار قديم، وأشهر أئمة القدامى الذين يتأثر أصحاب هذا المنهج بكتاباتهم واجتهاداتهم هو أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني، وتلميذه ابن القيم. ولا يخفى أن هذا المنهج أحياه من جديد وبثّ فيه الروح والحيوية الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي، المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ بنجد، فانتشرت كتاباته التي

كان يكثر فيها النقل عن ابن تيمية وابن القيم في الجزيرة العربية، وعن طريق الحج انتشرت في العالم الاسلامي، الذي تفاعل مع هذه الدعوة فمن مؤيد ومن معارض.

وكثير من المؤرخين يقولون ان السلطان سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي، كان من المتأثرين بالدعوة السلفية، (راجع "الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى" للناصرى). لكن يمكن القول ان أشهر من تأثر بهذه الدعوة في المغرب هو الشيخ عبد الله السنوسي، الذي درس في الحجاز، واستوطن أخيرا طنجة وبها توفي، لكن تأثيره كان محدودا. كان داعية الى العمل بالكتاب والسنة، ومذهب أهل الحديث، ونبذ التعصب المذهبي وبدع الأشعرية والصوفية. وكذلك العلامة المحدث أبو شعيب الدكالي، الذي لقبه الجراري، وهو أحد تلاميذه، في رسالة صنفها في ترجمته بـ "الحافظ الداعية". فان هذا الرجل كان سلفيا من الدعاة الى هذه الطريقة، ومن أصحابه محمد بن العربي العلوي، أحد علماء القرويين بفاس، الذي كان تيجانيا، ثم تبع الشيخ أبا شعيب الدكالي.

وحيث أن الحركة الوطنية المغربية، تبنت السلفية في أول أمرها، فقد كانت تعتبر العلوي أحد شيوخها، وان كانت سلفية الوطنيين غير السلفية المقصودة هنا، فان الوطنيين كانوا متأثرين أكثر بالأفغاني ومحمد عبده، غير أن الحركة الوطنية كانت تتردد على العلوي وتتبناه. وعلى أي حال كان العلوي من مشاهير الدعاة الى هذه الطريقة في العصر الحديث بالمغرب. وممن تبنت هذه الفكرة

على يديه الشيخ تقى الدين الهلالي، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، وقد ذكر في رسالته "الهدية الهادية الى الطائفة التيجانية" كيف أنه كان تيجانيا جلدا، وكيف أصبح سلفيا على يد العلوي. ويعتبر جميع السلفيين في المغرب الهلالي زعيمهم وشيخهم، اذ كان ممن تسبب في انتشار هذه الدعوة بالمغرب لنشاطه الدؤوب وكتبه العديدة في الدعوة اليها.

ومن دعاة السلفية في المغرب كذلك الشيخ محمد الزمزمي ابن الصديق في طنجة، المتوفى سنة ١٤٠٩هـ، الذي دعى اليها بقوة بلدته، وكسب أنصارا عديدين وتلاميذ كثر أسماهم "أنصار السنة"، الا أنه كانت له اجتهادات خاصة، منها أنه كان أشعريا في باب الاعتقاد. وكان في أصحابه نوع من تشدد وغلو. وله من الأبناء الذين نشطوا في حياته وبعد وفاته، صهيب، وكان حكيما سمحا كريم الخلق، توفى سنة ١٤١١هـ، وترك العديد من المؤلفات الجيدة، وعبد الباري، له نشاط في الدار البيضاء، وأبي. وأبنائه هؤلاء لم يكونوا أشعريين.

وفي هذه المرحلة، تميزت الدعوة السلفية بالمغرب بالهجوم العنيف على الصوفية وبدعهم، وعلى المذهبية والتقليد، وكذلك على الأشعرية. ونجمت العديد من الأخطاء عن بعض أفراد هذا المنهج أدت الى عدم ربط الصلة بين أصحابه وبين العامة، وذلك لاتباعهم سبيل التعنيف والهجوم الشديد، وبعضهم كان يغلو فيما لا يستحق الغلو، لكنهم حاربوا مع ذلك العديد من مظاهر التخلف والخرافة.

٣- جماعات التيار السلفي المعاصرة:

ترك الزمزمي بن الصديق والهاللي تلاميذ كثر، تغيرت اهتماماتهم بتغير الواقع. وانقسم أتباع المنهج السلفي الى أقسام. قسم بقي على ما كان عليه، وقسم تبني آراء بعض المعاصرين في العمل الاسلامي، واتخذ وجهات نظر خاصة.

ومن القسم الثاني أتباع الدرعاوي بمكناس، وأتباع محمد بن عبدالرحمن المغراوي بمراكش. وهو متخرج من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وأستاذ بكلية الشريعة بمراكش. ولهؤلاء بمراكش نشاط في "دار القرآن" حيث يهتمون بحفظ القرآن والحديث والعلوم الشرعية، ويرون أن "من السياسة ترك السياسة"، ولهم تأثير كبير بالشيخ ناصر الدين الألباني. الا أنهم انشغلوا بمحاربة الجماعات الاسلامية الأخرى، تارة بحجة "صوفيتها" وتارة بحجة "حركيتها" أو "جهاديتها".

أما القسم الأول، فأتباعه يرون أن حل مشاكل الأمة الاسلامية لا يأتي الا بالجهاد. ويجمعهم المظهر المعروف لدى "السلفيين"، وتحريم دخول البرلمان أو المشاركة في الحكومات الجاهلية. وأهم شيوخهم محمد بن الحسن الفيزازي، وهو من تلاميذ الهاللي. وكان درقاويا، ثم تيجانيا، ثم بودشيشيا، وأخيرا سلفيا. وله مركز دعوة في فاس ونشاط كبير في الدعوة الى السنة والعمل بها، ونشر العقيدة "الصحيحة". وله ولده أبو عبدالحليم، وهو خطيب جمعة بطنجة، وله نشاط كبير في شمال المغرب.

ومن مشاهير الدعاة الى المنهج السلفي كذلك الشيخ البيحياوي. له دروس في طنجة. ومنهجه تبيين العلم دون تهجم على الغير. لذلك فانه محبوب من جميع الجماعات الاسلامية. والناس يقبلون عليه بشغف. ومنهم في الرباط محمد السحابي ومحمد القشيري ويحيى الودغيري. ومنهم في الدار البيضاء محمد زحل والشيخ المدني. وغير هؤلاء.

ولا يوجد للسلفيين بجميع اتجاهاتهم تنظيم يجمعهم. بل منهم من يرى عدم جواز التنظيم في جماعة أصلا، تأثرا بأراء الشيخ ناصر الدين الألباني، والتي جمعها تلميذه أبو الحارث الحلبي في رسالة "الدعوة الاسلامية بين التجمع الحزبي والعمل الدعوي"، ومثلها رسالة "حكم الانتماء الى الجماعات الاسلامية" للشيخ بكر بن عبدالله أبي زيد.

يتبين من هذا أمور: منها أن الدعوة السلفية قصدت أول أمرها ارجاع الناس للسنة، فركزت على عمل الدعوة، ولم تضع في اعتبارها مسألة قيام الدولة الاسلامية أو التخطيط لذلك. ثم بعد زمن انقسم أصحابها الى عدة أقسام: قسم انشغل بالعلم والتعليم، ومن هؤلاء الشيخ البيحياوي الذي يخطب ويدرس في طنجة، وله شعبية هنالك؛ وقسم انشغل بحفظ القرآن والحديث، مع نقد الجماعات الأخرى، وموقف سلبي من السياسة كلها، ويتزعم هؤلاء المغراوي بمراكش. وقسم ثالث يرى أن قيام دولة الاسلام يكون عبر الجهاد،

وهو قسم يهتم بأمر المسلمين في كل مكان، ويساندهم بما يستطيع، مع طلب العلم ومدارسته.
ويجمع هؤلاء كلهم التأكيد على عقيدة السلف، والتزام السنة في المظهر، والأخذ بالحديث الصحيح، ومحاربة البدع المحدثه في الدين.

٤ - جماعة التكفير والهجرة:

أما التكفير والهجرة فأهم معاقلهم فيما يظهر منطقة الناظور بشمال المغرب الشرقي. ومن زعمائهم هناك رجل يدعى ميمون، وآخر يدعى الخضر. ولهم أتباع من العوام المحدودي الثقافة بل الأميين الذين كثيرا ما يتأثرون بمعسول الكلام وبالمتشابهات. ومن زعمائهم بمدينة سلا ونواحيها رجل اسمه المريني. وكان للشيخ محمد السحابي وأخيه القشيري دور كبير في اضمحلال شأنهم بهذه المدينة على ما يبدو.

وتبدأ جماعة التكفير والهجرة بفكرة أنه لا يجوز الصلاة في المساجد لأن الأئمة مبتدعة، ومن ثمة يصلون في بيوتهم، بما في ذلك صلاة الجمعة يصلونها في بيوتهم جماعة. ثم انهم لا يعذرون المسلمين بالجهل، فيكفرونهم بحجة موالاتهم للنظام الكافر. وهكذا الى أن يصل الأمر بهم الى نوع من هوس في التفكير، بل الى تكفير بعضهم البعض لأدنى شئ كقص اللحية مثلا.

٥ - جماعة الدعوة والتبليغ:

أما جماعة الدعوة والتبليغ فلهم نشاط في الأرياف والمناطق النائية. ويقع معقلهم في مدينة القصر الكبير، وفكرهم معروف، فلا حاجة لنا بذكره. لكن يظهر أن شأنهم ضعف كثيرا في السنين الأخيرة.

٦ - التيار الإخواني: "جماعة الشبيبة الاسلامية":

أما التيار الإخواني فانه ذلك التيار المتأثر بالاخوان المسلمين بمصر. وأول جماعة ظهرت في المغرب بذلك هي "جماعة الشبيبة الاسلامية". وترأسها عبدالكريم مطيع، الذي كان يساريا في أول أمره. وكانت هذه الجماعة متأثرة جدا بسيد قطب. وكان لها فكر ثوري، فأصحابها دخلوا بسببه في صراعات مع الشيوعيين الذين كانت لهم الصولة آنذ في الجامعات المغربية. وقد كانت الحكومة المغربية مصرحة لهذه الجماعة بالعمل، الا أن التصريح سحب بعد عملية اغتيال عمر بن جلون، أحد زعماء الاشتراكيين، على يد أفراد، زعموا أنهم من هذه الجماعة، وذلك سنة ١٩٧٥م.

وكان لهذه الجماعة جناح مدني وآخر عسكري سري، كل منهما منفصل عن الآخر انفصالا تاما. لكن بعد عملية ابن جلون جاءت الضربة قوية ضد هذه الجماعة، مما سبب فيها عدة انشقاقات، نظرا لتغير قناعات أفرادها حول أسلوب العمل. وصدرت بحق أفرادها عدة أحكام قاسية، فبعد الكريم مطيع حكم عليه بالاعدام، لكنه فرّ الى خارج المغرب، كما صدر نفس الحكم على

أفراد آخر، اضافة الى أحكام بالمؤبد والسجن لمدد متفاوتة. ولا نسمع اليوم بأثر لهذه الجماعة، ولعلمهم دخلوا في العمل السري. وأهم هذه الجماعات التي انشقت عن "جماعة الشيبية الاسلامية": "جماعة العدل والاحسان"، و "الجماعة الاسلامية" التي غيرت اسمها الى "جماعة الاصلاح والتجديد"، و "جند الله"، و "الشروق والتبين".

٧- "جماعة العدل والاحسان":

أما "جماعة العدل والاحسان"، فزعيمهم هو الشيخ عبدالسلام ياسين الذي كان من أفراد الطريقة البودشيشية، أصحاب الشيخ العباس البودشيشي. لكن بعد وفاة الشيخ العباس خلفه ابنه الشيخ حمزة، فلم يطق الشيخ ياسين الوضع الجديد، ورأى أن الأمور تغيرت، وأن الناس نسوا التصوف وانشغلوا بالمظاهر، فنصحهم ولكن دون جدوى، ثم قرر فراقهم مع أحد رفاقه وهو محمد العلوي، وذلك حوالي عام ١٩٧١م.

ثم ان الشيخ ياسين كتب اذ ذاك كتاباً للملك الحسن الثاني ينصحه فيه بجرأة وصراحة، مع استمالاته بألفاظ فيها حب واشفاق، وختمها بقوله: "والاسلام قادم بالحسن ان تاب وبغيره ان لم يتب". واسم هذه الرسالة الطويلة "الاسلام أو الطوفان". وسلّم نسخة منها لوزارة الداخلية. فألقى عليه القبض ووضع في مستشفى المجانين مدة ثلاث سنوات تقريباً.

وبعد خروجه نال اعجاب الشباب المسلم، فانضم اليه جماعة وناصروه. وكان قصده بادئ الأمر تجميع كل العاملين للدعوة في تجمع واحد. وأصدر مجلة "الجماعة"، لكنها صودرت ومنعت بعد مدة. وسميت الجماعة اذ ذاك "أسرة الجماعة"، ثم غيرت اسمها بعد مدة الى "جماعة العدل والاحسان".

وكتابات الشيخ ياسين العديدة تدل على شدة تأثره بالامام حسن البناء، حتى أن تركيبة جماعته كلها ونظامها مشابه لنظام "الاخوان المسلمين". فالشيخ ياسين هو مرشد الجماعة، وللجماعة "أسر" و "شعب"، وعلى كل أسرة أو شعبة "نقيب". أما فكر الجماعة فقد شرحه الشيخ ياسين في مجلد متوسط باسم "المنهاج النبوي". وهم يعتقدون أن المسلمين ليسوا في واقع "جاهلي"، بل في واقع "فتنة"، وهذه الفتنة تحتاج الى "قومة" رجل يصلحها، مستشهدين بقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا﴾. وهم لا يرون ملك المغرب أميرا للمؤمنين، وان كانوا لا يقولون بتكفيره. وطلب مؤخرا من الشيخ ياسين أن يرخص له بحزب شريطة أن يبايع الملك بامارة المؤمنين فأبى، وقال: "هو ملك وليس أميرا للمؤمنين".

وتتهم "جماعة العدل والاحسان" بالتربية الروحية جدا، ولهم "رباطات" يعتكفون فيها للصلاة والذكر. وهم يحافظون على قيام الليل جماعة مرة في الأسبوع، الى جانب أمور أخرى. وهم نشيطون في الدعوة الى الله، ولهم في معظم الجامعات سيطرة على النقابات

الطلائية. وتتكون الجماعة من المرشد والمجلس الاستشاري الذي يضم محمد العلوي وعبد الواحد المتوكل وفتح الله أرسلان وعبدالله الشيباني (صهر الشيخ ياسين) ومحمد العبادي ومحمد البشير، وهو الرجل الثاني في الجماعة. ثم النقباء على الشعب.

ويمكن القول أن "جماعة العدل والاحسان" هي من أكبر الجماعات الاسلامية بالمغرب. ولا زال مرشدها الشيخ عبد السلام ياسين في الإقامة الجبرية منذ حوالي أربع سنوات دون أية محاكمة، ولا زالت جماعته مضيق عليها.

٨ - "حركة الاصلاح والتجديد":

أما "الجماعة الاسلامية" فهم الذين تبعوا عبد الإله ابن كيران وعبدالله بها ومحمد يتيم، ممن رأوا أن المنهج السليم هو اصلاح السلطة، وعدم مواجهتها مباشرة، بل هم لا يصنفون أنفسهم ضد السلطة القائمة، ويرون أن الحكومة ممثلة الا أن لديها أخطاء، وعلى هذا فهم يبائعون الملك على أنه أمير للمؤمنين. ورئيس هذه الجماعة هو عبد الإله ابن كيران، والناطق باسمها هو محمد يتيم، ومن أهم رجالاتها أبو زيد الادريسي، المدرس بكلية الآداب بالدار البيضاء، وهو محدث بليغ، والدكتور سعد الدين العثماني وغيرهم.

وقد غيرت هذه الجماعة اسمها لكيلا تثير حساسية العلمانيين أو غيرهم من أنها تحتكر الاسلام، فأسمت نفسها بـ "حركة الاصلاح والتجديد"، بمعنى أنهم من المصلحين المجددين لهذا الدين، كما جاء في حديث رواه أبو داؤد (٤٢٩١) والحاكم

(٥٢٢/٤) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، صححه جماعة كالعراقي والحافظ وغيرهم.

ولهذه الجماعة نشاط جيد في الكليات العلمية، ويدهم السيطرة على بعض النقابات الطلابية، كما أن لهم نشاطات خيرية عديدة. وهم يرفضون العمل السري أو المسلح أو العنيف، ويرون الدعوة باللين ويرفضون الصدام.

هذا وقد طلبت هذه الجماعة الترخيص لها بالعمل مرارا، لكن طلبها رفض باستمرار. وحاولوا التحالف مع بعض الأحزاب ليدخلوا البرلمان، فنجحوا في ادخال عنصرين منهما له.

٩ - "الجماعات السرية":

أشهر الجماعات السرية جماعتان: "جند الله"، ويسمون كذلك "الرسالين"، و "التبين"، ويسمون "الشروق".
أما "جند الله" فهم على منتهى التأثير بالثورة الإيرانية، وشارك في تأسيسهم، كما علمت، رجل لبناني شيعي من "حزب الله". ونجدهم متأثرين كذلك بكتابات سيد قطب، وخاصة "معالم في الطريق"، وكتب حسين فضل الله، والمفكرين الشيعة. ونشاطهم في الجامعات يتجلى في الرد على العلمانيين واليساريين. فهم يواجهونهم بقوة، الا أنهم يركزون على القمة، ويرون ان اسقاط الرأس كفيل باصلاح الباقي، ولا ضير في سبيل ذلك في التحالف مع كل من يواجه الحكم.

أما "التبين" فسموا بذلك لأنهم بعد فرار مطيع من المغرب بقوا في حيرة، هل يبقون معه أم لا؟ حتى "يتبينوا"، من قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾. ثم استقر أمرهم على أنهم منهج وسط بين "تشدد العدل والاحسان" و "تساهل الاصلاح والتجديد".

ثم أن لهم اتصال وثيق بـ "جماعة الدعوة" ورجالها، وهي جماعة طابعها علمي مغربي، ومن رجالها الدكتور أحمد الريسوني والدكتور الروكي، وغيرهما. ولهم اهتمام بالنخبوية وبعلم أصول الفقه. وقد يصل ببعض رجال "جماعة الدعوة"، المتداخلة معهم، التمسك بالعقيدة الأشعرية والمذهب المالكي، تأكيداً على الطابع المغربي لدعوتهم.

هذا وتوجد جماعات أخرى صغيرة لا أعلم عنها شيئاً يذكر.
وبالله التوفيق.

